اللّغة العربيّة المجلّد: 27 العدد: 04 الثّلاثي الرّابع السّنة: 2025 ص: 219 - 256

الاستعارة التّصوريّة في الأحاديث النّبويّة

Conceptual Metaphor in the Prophetic Hadiths

د. فضيلة زرازحي ♥

أ. د. عمر لحسن♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال:DOI 2025 10.33705/0114-027-004-011

تاريخ الاستلام:30-10-2025-تاريخ القبـول:19-11-2025-تاريخ النّشر: 15-12-2025

ملخّص: إنّ مقاربة الدّلالة المعرفيّة من منظورها التّجريبي في فهم المعنى عند الإنسان – كما يرى كارل بروكلمان – بالغة الأهميّة، إذ يعد اللسان صورة من صور اللّغة الإنسانيّة، التي تمنح كل مجتمع استقلاليته التّواصليّة. فاختلاف التّصورات الذّهنيّة للموجودات الواقعيّة أو المجردة، رغم التّوافق في أنماط البناء التّصوري الاستعاري، ينتج تباينا في التّراكيب الاستعاريّة بين الثقافات، بل أحيانا داخل الثقافة الواحدة، ويعكس ذلك سعي الإنسان الدّائم إلى إيجاد طرائق أوجز وأرقى لتلبيّة حاجاته التّواصليّة، في ضوء التّطور الزماني والمكاني. ومن هنا يطرح السّؤال: هل العامل الحاسم في تشكل اللّغة هو العقل البشري بما يحمله من تصورات ثقافيّة ونفسيّة واجتماعيّة؟ وانطلاقا من هذا المنظور، يأتي التّطبيق الإجرائي المحدود لتوضيح معالم نظريّة الاستعارة التّصوريّة بتحليل مجموعة من الأحاديث النّبويّة الشّريفة.

♥جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر، البريد الإلكتروني: zerazehifadila@gmail.com (المؤلّف المرسل).

♥جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، البريد الإلكتروني:amor.lahcene@univ-annaba.dz

الكلمات المفتاحيّة: العرفانيّة؛ الاستعارة التّصوريّة؛ الأحاديث النّبويّة؛ الاستعارة البنويّة؛ الاستعارة الاتجاهيّة؛ الاستعارة الأنطولوجيّة.

Abstract: The cognitive-semantic approach from its experiential perspective in understanding meaning in human cognition- as viewed by Karl Brockelmann- is of great significance. Language, in this sense, represents one form of human expression that grants each community its communicative autonomy. The diversity of mental representations of both concrete and abstract entities, despite a general convergence in conceptual metaphorical structures, results in variations in metaphorical constructions across cultures and sometimes even within the same culture. This reflects the human pursuit of ever more efficient and refined ways to fulfill communicative needs, in light of temporal and spatial evolution. From this standpoint arises the question : Is the decisive factor in the formation of language the human mind itself, embodying cultural, psychological, and social conceptualizations? On this basis, a limited procedural application is proposed to elucidate the features of Conceptual Metaphor Theory through the analysis of verbal Prophetic Hadiths.

Keywords: Cognitive Linguistics; Conceptual Metaphor; Prophetic Hadiths; Structural Metaphors; Ontological Metaphors; Orientational Metaphors.

مقدّمة: لأنّ المدخل الوحيد لمعرفة كيفيّة اشتغال العقل البشري هو اللّغة والعلم المكلَّف بدراسة هذه الظَّاهرة هو اللّسانيات بصفة عامة؛ وكلُّ العلوم هي معينة للّسانيَّات التي تعتبر البؤرة تتفرَّع بتظافر هذه العلوم. وهو ما يصبُّ في قضيّة أصل وماهيّة الاستعارة المتَبديّة في اللّغة؛ أهي شكل؟ (زخرف جمالي ينتمي إلى المجاز غير المباشر)؛ وهو رأي القدامى غربا وعربا وما يزال حاضرا لحد السّاعة . تنتج عن عمليتي (نقل/ استبدال)، أم أنَّها عمليّة عقليّة

تتأتَّى من تصوُّرات تنشط استعاريًّا؟ (تصوُّرات استعاريّة يعيش بها كل البشر) وهو رأي الغرب المحدثين منذ القرن العشرين ونخص بالذّكر ما نَظَّرَ له العالمان لايكوف وجونسون في كتابهما المشترك "الاستعارات التي نحيا بها" (1980)، والنّظريّة المعاصرة للاستعارة التي نشرت عن كتاب لايكوف "الاستعارة والفكر". وهو حقل اشتغالنّا هنا.

وبما أنَّ الأفكار متَّصلة رأسا بطبيعة نَسقنا التّصوري؛ وهيمنة الاستعارة على جانب كبير منه متكشّفة أمامنا. وعلى هذا الأساس تعدُّ الاستعارة التّصوريّة، أو التّرسيم الاستعاري بناء فكريًّا قابعا في الذّهن، يقوم من خلال تناظرات بين (مجالات مصدر)، و(مجالات هدف)؛ فهي عبارة عن تعالق لمدارك عقليّة ناتجة عن معارف سابقة كامنة في الذّهن جاءت نتيجة تقلُّبات نفسيّة غير أنَّها تنتمي إلى المجال التّجريبي الواقعي للموجودات الحسيّة المتجسّدة التي تعرفها الإنسانيّة جمعاء. وهو ما يسمح لنا بتبين وروده في الأحاديث النّبويّة الشّريفة.

نظريّة الاستعارة عند العرب القدامى: عكف العلماء العرب القدامى الذين اهتمُّوا للُّغة، منذ القرون الأولى للهجرة على دراستهم للنص القرآني وما يتضمنَّه من إعجاز لغوي، فكان للدَّرس البلاغي حظُّه الوفير من ذلك، في تقصّي أنواع الأساليب القرآنيّة، وخاصَّة البيان منها؛ أي تراكيب القرآن الكريم المجازيّة باعتبار المجاز فيها خلقا إلهيًّا، ينأى عن إبداع المخلوق. فانصبَّ اهتمامهم على البيان، والبديع، والخبر والانشاء. غير أنّ الاستعارة كانت قد ملكت عقولهم. وسلبت تفكيرهم. فخصّوها بالتّعمق والنّظر. وقاربوا "بين الأسلوب والعيَّاريّة. والعيَّاريّة ضرب من المعاملة، (وهي أن يستعير بعض النّاس من بعض شيئا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلاّ من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا)" (عبد الإله سليم، 2001)، وحاولوا التّبَّصر في العلاقة القائمة بين اللَّفظ والمعنى، ومن تلك النّقطة انطلقوا في تفسيراتهم للأوجه المجازيّة المختلفة وعلى رأسها الاستعارة.

بحيث عمد الجاحظ (ت 255هـ) إلى نقد المنتجات الأدبيّة من شعر ونثر وقد ركَّز على فن الشّعر خاصّة؛ لتميُّزه عند العرب منذ الجاهليّة. وأكبَّ عليه يتفحَّصه ويحلّله، فذكر أنَّ" البلاغة إظهار ما غمض من الحقّ، وتصوير الباطل في صورة الحق"(الجاحظ، 1971)، وخاصَّة الاستعارة منها، وكان قد بدأ الطريق بقوله إنّها "تسميّة الشّيء باسم غيره إذا قام مقامه"(الجاحظ 1971)، حتى وصل حسب رأيه إلى تفسير يوضح كيفيّة وسبب بنائه (المجاز الاستعاري). فأدرج كلاًّ من المخاطب (الباث) والمخاطَب(المتلقّي) كونهما قطبا رحى العمليّة التّواصليّة البلاغيّة؛ لضرورة وجود توافق تواصلي مرده إلى الذّهنيّة المشتركة بينهما، وهو ما يسهل إحداث تكامل تصوُّري، بحيث ينتجه الأول ليعيه وينتبه إليه الثَّاني، ويؤثّر فيه. ففي كتابه: *البيان والتّبيين* إشارة جليّة للمتمعّن في القضيّة. فقوله: "إفهاما يغنيه عن الإشارة" (الجاحظ 1971) للشيء الحسّي أو الأمر المعنوي، كونه منغرسا في الذّهنيّة المشتركة، يبقى إحداث التّوليف يبن هذه العناصر وتعليقها ببعضها. أمّا عن قوله:" حسن الإفهام مع قلَّة عدد الحروف" (الجاحظ، 1971) (إيجاز العبارة)، فهي حسن التّدبر في توليد المعني انطلاقا ممّا اكتسبه من إحالات اسميّة للَّفظة، و"الألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة، عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشّواغل عن قلوبهم."(الجاحظ، 1971). ذلك فصل الخطاب عنده، ومنتهى الابلاغ المجازي. وقد كان تعريف الاستعارة عنده لا يخرج عن إطاره اللّغويّ. وعلى هديه سار من جاء بعده من اللّغويّين والبلاغيين والنّقاد، أمثال الآمدي وعبد القاهر الجرجاني، وحازم القرطاجني، الذي أسهم بدوره بعد سابقيه، من البلاغيين والنّقاد ومفسري القرآن الكريم، ودارسي علومه، بقدر يُشهد له به. في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، حيث أخذ الصّورة الشّعريّة باعتبار المحاكاة والتّخييل على حد قول محمد الولي إذ عُدَّ كتابه" مرحلة جديدة من تاريخ نظريّة الشّعر عند العرب. إنّه بقدر ما يستلهم مجهودات المتقدمين من

النّقاد واللّغويّين والبلاغيين وعلماء العروض والقافيّة والفلاسفة، بقدر ما يحاول تقديم صيغة جديدة لنظريت(ه)"(محمد الولي 1990) الخاصّة بوجهة نظره اتجاه اللّغة حيث" يميز بين معان فطر النّاس على معرفتها والتّأثر لها إمّا سلبًا أو إيجابًا، وهذه من الشّيوع بحيث تشكل الرّصيد المشترك عند كل النّاس، وبين المعاني أو المتصورات التي يكسبها الإنسان بالتّعلم، ولا تشكل رصيدا مشتركا عند كل النّاس. إذ إنّها تمثل معرفة علميّة أو ما شابه ذلك"(محمد الولي 1990). حيث يقول في المعاني: "هي الصّور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذّهن، فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذّهن تطابق لما أدرك منه فإذا عبر عن تلك الصّورة الذّهنيّة في أفهام السّامعين وأذهانهم، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ. فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيأ له سمعها من التّلفظ بها، صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيآت الألفاظ، فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدّالة عليها"(حازم القرطاجني، 1981). ويرمي بذلك إلى أنّ الخط يدل على وجود تصورات مخزنة في العقل البشري يحيل عليها هذا الخط، كما تحيل الأسماء على المسميات ادعاء من أصحابها. وأثبت القرطاجني أنَّ تشغيل الاستعارة بناء للغة، فببحثه عن "مواقع البلاغة من طبيعة الإنسان، وعن الفرق بين الخطابة والشّعر، وما يرجع إلى ذلك من ملاءمة النّفوس ومنافرتها، ويرجع المعاني إلى متصورات أصليّة، ومتصورات دخيلة"(حازم القرطاجني، 1981) بحيث "تكون هذه المعاني منتميّة إلى الرّصيد المعروف عند كل النّاس.

فـ (أفضل المواد المعنويّة في الشّعر ما صدق وكان مشهورا)"(محمد الولي 1990). وقد جلب الانتباه إلى قضيّة التّخييل واعتبرها ركيزة أساسيّة أو عمدة في حصول المعاني، فيقول: "والتّخييل في الشّعر يقع من أربعة أنحاء: من جهة المعنى، ومن جهة الأسلوب، ومن جهة اللفظ، ومن جهة النّظم والوزن."

(عبد الرّحمان طعمة، 2019). ويتناول المعنى، ويجعله يقوم على معان أوّل ومعان ثوان" يكون عليها مقصد الكلام وأسلوب الشّعر؛ فالعلاقة لديه بين صياغة المعاني القائمة في حدث التّفكير(الأذهان) لفظيا في حدث البيان والتّعبير(الأعيان) هي علاقة مباشرة تتأتى من خلال وسيط التّخييل"(عبد الرّحمان طعمة، 2019). وقد أشاد اللساني عبد الرّحمن طعمة بطرح القرطاجني، وأثنى عليه، بعده اتجاه عرفاني عربي من زاويّة الاستعارة.

ثالثا –نظريّة الاستعارة عند العرب المحدثين: استقبل العرب المحدثين نظريّة الاستعارة التّصوريّة برؤيتها العرفانيّة، كما هو معروف بالاطلاع والتّرجمة، ومن ثمّ إعادة الصّياغة العربيّة لها، أو البحث عما يتوافق معها في كتب التّراث اللّغويّ العربي، أو تطبيقها على اللّغة العربيّة؛ حيث كان دور اللسانيين العرب هو دور المتلقي المستهلك. مع بعض الاجتهادات الفرديّة القيمة، والمسهلة لاستقبال هذا الطرح الجديد. والذي يحتاج إلى تنسيق وتأطير؛ ليتم استيعابه وبذلك تمثله عربيا... أمثال؛ الأزهر الزناد، عبد الله الحراصي عبد المجيد جحفة (مترجم كتاب جورج لايكوف ومارك جونسون "الاستعارات التي نحيا بها")، عبد الإله سليم، محمد الصّالح البوعمراني، جليلة حمدة توفيق قريرة، محي الدّين محسب، عبد العزيز لحويدق، سيمة نجاح مصمودي، عمر بن دحمان، عبد العالي العامري، عبد الرّحمن طعمة، عبد الجبار بن غريبة عتيق...

3–مبادئ نظريّة الاستعارة التّصوريّة: تنتصب أعمدتها بالارتكاز على عدة مبادئ تحكم حدودها؛ وهي كما طرحها جورج لايكوف في الكتاب المشترك "الاستعارات التي نحيا بها" (1980)، ومقاله "النّظريّة المعاصرة للاستعارة" (1993)، إذ جعل الاستعارة مردها العقل وتصوره للعلاقات بين مجالين لمعنيين متباينين ينتم إدراكهما، وتخزين صورة مجردة لهما في الذّهن، ليتم بعدها إسقاط المجال المصدر (المعروف مسبقا) على المجال الهدف(الذي يريد

التّعبير عنه)، بالتّماس رابط بينهم الإنتاج تراكيب نحويّة تسمى تعبيرات استعاريّة؛ على اعتبار أنّ الاستعارة تمت بين المجالات قبل أن تتحقق لسانيا. و"يرتبط ذلك بإقامة علاقة انسجام من نوع محدد بين العلاقات التي تقوم عليها الأنساق الدّلاليّة في اللغات الطبيعيّة، والعلاقات التي تتبني عليها أنساق معرفيّة وإدراكيّة أخرى، أي أنّ هناك مستوى ينسجم فيه هذان النّوعان من العلاقات هو مستوى البنيّة التّصوريّة" (محمد غاليم، 1987).

يقر لايكوف وزلتان كوفيتش وغيرهما من المشتغلين في هذا الحقل بتساوي اللّغة اليوميّة واللّغة الإبداعيّة في منطق الاشتغال (المنطق الاستعاري)، لكن هذا لا يجعلهما في نفس المرتبة، فللإبداع خصوصيته؛ لذلك فقد أقرا أنّ عمليّة الابتكار والجدة التي "تنشأ من خلال إدماج مجموعة من الاستعارات التّصوريّة البسيطة من أجل تشكيل الاستعارات المعقدة"(عمر بن دحمان، 2010)، هي إبداع يرقى عن التّصورات العرفيّة ويتميز عنها، ولكن "ليس الابتكار والجدة (في الأدب) أمورا خارقة، فهما لا يأتيان من العدم"(عمر بن دحمان، 2010)؛ أي أنّ المبدع والمتلقي يشتركان في أرضيّة فكريّة واحدة تخضع لمنطق استعاري، وإلاّ فلن يتمكن المتلقي من فهم التّراكيب الاستعاريّة التي ينتجها المبدع، ولن يتمكنا من التّواصل اللّغويّ. و"وفقا لكوفتش (فيما ينقله عن لايكوف وتورنر) يمكن تمييز أساليب عديدة ومتنوعة يوظفها الأدباء(...) على نحو منتظم لإبداع "صورة" ولغة جديدة غير وضعيّة، انطلاقا من الموارد الوضعيّة للغة والفكر اليوميين. هذه الأساليب أو الآليات هي: التّوسيع (Extending)، التّدقيق (Elaboration)، الارتياب (Questioning) التّوليف (Combining) (Zoltan Kovecses, 2010)، وما يفعله المبدع هو إدخال تعديلات تجعل الكلام غير مألوف، فينجذب إليها المتلقي، وتنشأ عنده ما يسمى بالدّهشة، وهذا ما يجعله يستنفر في فهمها باستغلال معطيات الآليّة التّصوريّة الاستعاريّة بدوره.

أهم مفاهيم الاستعارة التّصوريّة:

أ . النّسق التّصوري (Conceptual layout):يمكن القول إنّ مفهوم النّسق جاء أولا فلسفيا، إذ أورد (لالاند) في موسوعته الفلسفيّة أنّ مصطلح النّسق "يقال بمعنيين: عام وخاص؛ والنّسق بالمعنى العام هو جملة عناصر ماديّة أو غير ماديّة تتعلق بالتّبادل بعضها ببعض بحيث تشكل كلا عضويا والنّسق بمعناه الخاص هو مجموعة من أفكار علميّة أو فلسفيّة مترابطة منطقيا من حيث تماسكها لا من حيث حقيقتها" (فاطمة محمد السّويدي، 2019) وكل ذلك من أجل "الإحاطة بالموجودات وإدراك طرائق ارتباطها، فالتّجربة الحسيّة وما تحمله من معايشة ومعاناة فكريّة ووجدانيّة تتطور وتنمو؛ ليتم التّحول من الواقع المحسوس إلى المدرك المعقول ومن المستوى الضّمني إلى المستوى الصّريح" (فاطمة محمد السّويدي 2019). لصياغة احتياجاتنا اليوميّة من بناء للمعاني والأفكار التي يقوم عليها وجودنا. أو هو "تفعيل عدة عمليات لها جوانب تجريديّة تدور عادة في مستويات ذهنيّة عدة... مع عمليات الإدراك والاستيعاب، والمعايشة، وصولا إلى الجانب التّأويلي، ومرورا بضوابط ذهنيّة إبداعيّة تتحكم في تصوير هذه الأنساق وتجسيدها، التي تمثل مرتكزا من مرتكزات التّشييد التّصوري" (فاطمة محمد السّويدي، 2019). وقد أعطى محمد غاليم مفهوما للبنيّة التّصوريّة بعدها "مظهر من مظاهر التّمثيلات المعرفيّة يقوم عليه الفكر لدى الإنسان. وبخلاف مظاهر الفكر التي تعتبر هندسيّة (geometiric) أو شبه موضوعيّة (quasitopoloical) كما هو الحال في تنظيم الفضاء المرئي، فإنّ البنيّة التّصوريّة بنيّة جبريّة (algebraic) مكونة من عناصر منفصلة وهي ترمز تمييز الأنماط (types) من الورودات (tokens)، والمقولات التي تفهم منها العالم، والعلاقات بين مختلف الأفراد والمقولات (محمد غاليم، 1987). أي "افتراض ترابطات تصوريّة بين مجال تصوري وآخر. وبمقتضى هذا الافتراض يمكن أن نقول إنّ معاني جزء كبير

من لغتنا اليوميّة تحتاج إلى هذا النّوع من التّرابطات" (جورج لايكوف ومارك جونسن، 1996)، تعزى إلى "عمليّة عقليّة تتم بواسطة الذّهن تقوم بتنظيم التّجارب والمعارف والإدراكات المختلفة داخلة فيما يعرف بالبنيّة التّصوريّة، لأنّ تخصيص العلاقات الدّلاليّة يضطرنا إلى استعمال معرفة (تصوريّة) غير لغويّة، فكوننا نربط بين اللفظ وما يشير إليه يجعلنا ندخل (بدون أن نشعر) عناصر غير لغويّة لإنشاء هذا التّصور حول اللفظ في أذهاننا"(جورج لايكوف ومارك جونسن، 1996)، و"الرّبط بين كل المعارف والتّجارب الفكريّة والجماليّة والحسيّة مع اللون والحجم والهيئة والصّوت...إلخ، والألفاظ التي تدل عليها من خلال بناء تصور ذهني عنها يدخل ضمن بناء كبير في ذهن المتكلّم يجمع كل هذه التّرابطات والعلاقات" (جورج لايكوف ومارك جونسن، 1996). فيتعين علينا التّصرف عند تقديم المعرفة أو التّواصل؛ أي أنّ النّسق التّصوري ما هو إلا تشكيل ذهني للمدركات بأنواعها، أو معرفة مفعلة فكريا عند أصحاب نظريّة الاستعارة التّصوريّة.

ب . الإسقاط الاستعاري (Projection metaphor): من أهم عوامل إحاطة الإنسان بمكونات العالم الخارجي(الفيزيائي)، والعالم الدّاخلي (البيولوجي النّفسي)، وكذا التّجريدات الذّهنيّة للمفاهيم العقليّة. وقد تكون المقارنة أو الموازنة، والتّمييز، والشّعور بوجود ثغرات في فهمه للحياة بأكملها فيحاول تفسيرها. وبذلك يعمل على إقامة موازنات يقابل فيها ما كان معروفا مدركا قبلا مع ما يريد تكوين فكرة أو معرفة عنه، فيحدد الأجزاء أو العناصر التي يتوافق فيها الموضوعان المنتميان إلى مجالين متباينين (المصدر والهدف)، ليشكل تصورا جديدا يتماهى فيه الطرفان مع سيطرة المجال الهدف على التّصور الجديد باعتباره المقصود بالتّكوين الاستعاري التّصوري. ولأن المعنى المعجمي "تصوَّر أي سقط. وفي الحديث يتصور المَلَكُ على الرّحم: أي يسقط" (ابن منظور، 1994). فإنّ المعنى الاصطلاحي يتوافق تمام التّوافق مع ذلك، مع

الطبيعة الاستعاريّة لهذا الاسقاط، إذ يقدم الأزهر الزناد مفهوما له فيقول بأنّه "قوالب من التّناسبات الأنطولوجيّة، وهو كائن ما بين المستويات العليا في المقولات، يحكمه مبدأ الثبات الذي ينص على أنّ الإسقاط ما بين المجالات يحافظ على الأبعاد الأنطولوجيّة على أنّ الغلبة للمجال الهدف" (الأزهر الزناد 2010). الذي يستوجب معرفة أثرى بالمجال المصدر الذي يشتغل وفق مدخلين هامين يعدان ضابطين للعمليّة هما الثبات الاستعاري والاقتضاءات الاستعاريّة؛ أي إحداث علاقات ذهنيّة بين المعارف المدركة والتي تبدأ من المراحل الأولى للحياة البشريّة.

ج . المجالات التّصوريّة (Conceptual areas): يعبر عن هذا المفهوم بمصطلح مركب من مصطلحين إذ "يعتبر مفهوما الصّورة (figure) والمجال (Ground)، وهما مفهومان يعودان إلى علم النّفس الجشطلتي، من أهم المفاهيم التي وظفها العرفانيون لتبيان الطابع الطبولوجي للغة، فتنظيم الفضاء ومعرفة خصائص شيء ما داخل الفضاء هو أكبر من الاقتصار على معرفة الخصائص الذّاتيّة لذلك الشّيء، إذ يحتاج لتحديد موقعه ومساره واتجاهه إلى شيء آخر، انطلاقا منه يحدد الشّيء الأول" (محمد الصّالح البوعمراني 2018)؛ أي إيجاد علاقات ترابطيّة بين معنيين اثنين: مصدر يبنى عليه هدف، غير أنّ الإطار الهدف هو بؤرة الاهتمام وموطن التّركيز. إذن تنشط الاستعارة التّصوريّة بوجود مجالين اثنين: المجال المصدر (Source domain) وهو نسق تصوري يعيننا على فهم نسق تصوري آخر وبنينته، قد يكون جديدا لم يطرق قبلا يسمى المجال المستهدف (Target domain) بحيث يكون الأوّل أقل تجريدا من الثاني، لأنه الأكثر ارتباطا بالواقع الفيزيائي من حولنا. ولأنّ التّفكير "كعمليّة عقليّة معرفيّة هو انعكاس للمعلومات والأفكار والعلاقات والرّوابط بين الظواهر أو الأحداث في وعي الإنسان، وتتضمّن عمليّة التّفكير في أي موضوع جانبين متكاملين، الأوّل: انعكاس للظاهرة أو

الشّيء أو الحدث أو المعلومة أو الفكرة من حيث الجوهر، أي في علاقاتها المتبادلة مع غيرها من الظواهر أو الأشياء أو الأحداث أو المعلومات أو الأفكار وتلازمها معها. والثاني: التّبصر بالظاهرة (...) من حيث العموميّة أي في شكلها العام التّجريدي وليس في شكلها الحسي المحدود" (يوسف الأقصري 2002) وجب المزاوجة بين فضاءات المعاني المتباينة. فكلما زادت مجالاتنا المعرفيّة، أو حقولنا الاستدلاليّة في إدراك نتائج النّشاطات والتّفاعلات المختلفة في حياتنا صاحبتها تصورات استعاريّة تناظرها في أذهاننا؛ لأنّ المعرفة الذّهنيّة تراكميّة ترابطيّة. كما يوضح ذلك المخطط:

مخطط (1): التّناسب الطردي بين المجالات المعرفيّة المدركة والتّصورات الاستعاريّة.

د . الامتداد الاستعاري (المسار الاستعاري): استغلال ترسيم "راسخ من نسقنا التّصوري يفسر السّبب الذي لأجله يمكن للاستخدامات الجديدة والخياليّة للترسيم أن تكون مفهومة على الفور إذا ما أخذت في الحسبان التّناظرات" (جورج لايكوف، 2012) الاستعاريّة المناسبة في كل تجربة توسيعيّة على مستوى التّصور الاستعاري المبنين ذهنيا، والمستعد أو القابل لأي تجديد أو تحفيز باستمرار. أي وجود استعارات عرفيّة ربما كانت عامة ومشتركة للجنس البشري ككل، نجعلها متكئا في تجديد هذه الاستعارات بتصورات أخرى ترتكز على العناصر الهامشيّة لهذه الأنساق التّصوريّة، وإذا كان ذلك ضمنا لبناء

منظومة تصوريّة استعاريّة تكون إبداعيّة تنم عن تمرس صاحبها في إطلاق العنان لخياله، وبذلك يحفز خيال المتلقي المهتم، في محاولة لفهم وإدراك مقصديّة المبدع، بمقاربات تأويليّة متباينة، ولكنها تتفق في نقاط معترف بها عرفيا بالتّواضع والاصطلاح.

هـ . الخطاطة الاستعاريّة (Allegorical calligraphy): وجود "بنيات معرفيّة تضم توجيهات تهيئ المجرب لتأويل تجربة ما بطريقة ثابتة" (بهجة أومادن، 2010) و"يقترح يول وبراون النّظر إلى الخطاطات كمعرفة خلفيّة تقودنا إلى توقع (أو التّنبؤ بـ) مظاهر في تأويلنا للخطاب"(بهجة أومادن 2010). وينعتها الدّكتور الأزهر الزناد بأنّها: "أبنيّة معرفيّة على غاية من العموم والتّجريد، تساعد الفرد على الاستدلال المناسب"(الأزهر الزناد، 2010) وأنها: هندسة ذهنيّة "تنظم وفقها المعلومات في أذهاننا بطريقة توجه استدلالنّا. (وهي) تمثيل عرفاني يتضمن تعميما لمظاهر التّماثل المشتركة ما بين المدركات من النّماذج الجاريّة في الاستعمال" (يوسف الأقصري، 2002) فهي على الأرجح أسلوب معرفي.

وبما أنّ الإنسان لا يقدر على الاحتفاظ التّام بكل مجريات الحياة الدّاخليّة منها والخارجيّة بشكل مفصل، وبذلك فهو يلتمس خطة تقنيّة محاولا تخزين أكبر قدر ممكن من المعلومات والمعارف وحتى المجردات من الأفكار المبتكرة، يسعى بوساطتها إلى اختزال ما يمكن الاحتفاظ به من كل تلك التّفاصيل، وتخزين هذه الأيقونة التي تحيل على الموضوع الأصل، أو الواقعي. مثل خطاطة استعارة الوعاء التي تحصر في: داخل/ خارج /سطح فاصل ... كما يقال إنه "بمقدورنا أن نرى الصّور بعين العقل وأن نسمع الأصوات بأذن العقل وأن نستحضر صورا تتصل بسائر الحواس الأخرى غير أنّه يختلف تصورنا بسبب الفروق الفرديّة في التّصور كما تختلف ضروب التّصور شأنها شأن حقائق الاستبطان الأخرى كونها لا تخضع للقياس الدّقيق، وكلما كان

تخيلك دقيقا كان تذكرك للأشياء أفضل" (يوسف الأقصري، 2002)، حيث يتطلب ذلك ما يسمى تفكيرا؛ والذي يتكئ على عمليات عقليّة أوّلها التّصنيف وثانيها التّنظيم وثالثها التّجريد، وهي العمليّة التي يتم فيها تجريد الأشياء عن ذاتها بترسيم تصوري. كما يقال إنّه توجد "فترة التّنشيط الحسي للجهاز العصبي التي تساعد على نضجه"(حسان شمسي باشا، 1991)، وتكون خلال النّوم "وظيفته(ا) مركزة في بنيان وتصليح القدرة العقليّة والذّهنيّة في المخ" (حسان شمسي باشا، 1991)، ذلك أنّ الإنسان لا طاقة له على تحمل كل المعلومات والمعارف والأفكار.. مع تزايدها وتجددها وتعقدها في بعض الأحيان، وبذلك يقوم (العقل) "بعمليات التّصنيف وإعادة الحساب، ومراجعة كل ما دخل الدّماغ في ذلك اليوم. ويقوم المخ بعمليّة تخلص من كل المعلومات القديمة غير الملائمة...!!" (حسان شمسي باشا، 1991). والمعقدة المفصلة، فيجردها من كل ذلك، ثم يحتفظ بها لطلبها وقت الحاجة، "ولذلك كان النّسيان نعمة من نعم الله...فلو تذكر الإنسان كل ما مر به من أحداث ومشاعر، لما استطاع العيش في خضم هذه الحياة!" (حسان شمسي باشا، 1991). لذا لزم عليه التّجريد الذّهني قدر المستطاع، والتّخلص من الفائض والرّوتيني المحفور في الدّماغ والذي يتحكم فيه الانتباه الدّائم، وهو مناط الحكم على الفرد، كونه سويا طبيعيًا أم أنّه توجد مشكلة ما في تصوره لنفسه ولما حوله. إذن فالخطاطة الاستعاريّة هي التّمثل الذّهني لصورة العالم من حواس، وعواطف، ونشاطات حياتيّة وأفكار مجردة في أصلها. أو استيعاب وفهم العقل الإنساني للحياة كلها، فهي أساس تكوين المناويل العرفانيّة حسب الزناد.

و. التّرسيم الاستعاري: هو على الأغلب بنيّة للاستعارة العرفيّة عبر مجالات تصوريّة كما يصفه لايكوف؛ أي أن "كل ترسيمة mapping هي نموذج راسخ لتناظر تصوري عبر مجالات تصوريّة" (جورج لايكوف، 2012). فهو "يحدد فئة مفتوحة النّهاية an open ended class لتناظرات ممكنة عبر نماذج

الاستدلال" (جورج لايكوف، 2012). غير أنّ "الفهم الاستعاري مترسخ في الفهم غير الاستعاري" (جورج لايكوف، 2012). وتتراكب النّماذج المخزنة في الذّاكرة مع ما استحدث من المواضيع والمواقف، والعواطف...، وكلما استجد جديد على مستوى المنظومة النّموذجيّة الرّاسخة حصلنا على استعارات تصوريّة جديدة. إذ إنّ التّطور العلمي التّكنولوجي المعاصر مثلا قد لون تصوراتنا للسلوك والأفعال، فاصطبغت الأقوال بدورها. فهو إذن "مجموعة ثابتة من التّناظرات الأنطولوجيّة بين الكيانات في مجال الانطلاق والكيانات في مجال الوصول" (جورج لايكوف، 2012)، أي وجود منظومة تصوريّة استعاريّة راسخة نحتكم إليها في تنظيم تفكيرنا اليومي وكذلك الابداعي الأدبي.

– **أنواع الاستعارات التّصوريّة:** لإعطاء فكرة عما يجعلنا نتصور الأمور بكيفيّة استعاريّة، وتبنيها والتّحكم في معظم أنشطتنا الحياتيّة اليوميّة، والمدركة معرفيا في أدمغتنا، كما يرى لايكوف وجونسون، وخاصّة منها ما هي مشتركة بين الثقافات والبيئات والمعتقدات، والأيديولوجيات...لترسيخ نظرة شموليّة عن الاشتغال الاستعاري التّصوري في إعادة تدوير المعارف المدركة، واستغلالها في أنساق تصوريّة تغطي معان غير معروفة لحاجة ما. وقد أقدم لايكوف وجونسون على تحديد استعارات تبنين نسقنا التّصوري، وهي قارة في معظمها فوضحا بأنه قد تقدم الباحثون قبلا بتطبيقات "مثيرة للنظريّة في حقول متنوعة مثل النّظريّة الأدبيّة والدّراسات القانونيّة واللسانيات وفلسفة العلوم. كما حددوا الاستعارات التّصوريّة في جوهر الشّعر والقانون والسّياسة وعلم النّفس والفيزياء وعلوم الحاسوب والرّياضيات والفلسفة" (عمر بن دحمان، 2010) ... وقد قسم لايكوف وجونسون هذه الاستعارات التّصوريّة إلى: استعارات بنيويّة، واستعارات أنطولوجيّة، واستعارات اتجاهيّة، لضرورة منهجيّة، وحاجة تصنيفيّة، ومعايير نظريّة.

نقدم من العناصر البحثيّة المواليّة عينة من الثنائيات التّناظريّة أو التّرسيمات الاستعاريّة الشّائعة في أوساط المجتمعات الإنسانيّة، أو التّصورات الاستعاريّة الإبداعيّة، والتي ربما ابتذلت لتصبح راسخة ضمن المنظومة التّصوريّة المعرفيّة لتكون نمطيّة مشتركة.

1. الاستعارات البنيويّة: يعدّ لايكوف وجونسون هذه الاستعارات طبيعيّة وقارة في فكرنا؛ لدرجة أنّنا نتخذها عادة بديهيات ومسلّمات، ولا يخطر على بالنّا في بعض الأوقات أنّ الأمر متعلق بتصورات استعاريّة مصدرها العقل (عمر بن دحمان، 2010)؛ بالإسقاط الانتقائي الجزئي. وبذلك يتسنى لنا بالإجماع التّركيب النّسقي تصوريا بين ما هو مادي ملموس (لنا فيه تجربة) وما لا نستطيع القبض عليه فيزيائيا. وانطلاقا من النّسق التّصوري المرسم لاستعارة (الجدال حرب) تتشكل تصورات جزئيّة تبنين هذه الاستعارة في أذهاننا والمستمدة من مقتضيات أنشطة الحرب المختلفة مثل: الأسلحة والجيش والدّفاع والهجوم والتّرصد والخداع والحصار والأسر والحيلة والاستسلام، مناورة ... وعلى أساسها نتخاطب، ومن أمثلة ذلك:

. هذه آخر فرصة لعقد هدنة بيننا (التّهديد)؛

. هو ند لك (المساومة أو التّحذير)؛

. هناك العديد من المنافذ لحل المشكلة (الصّلح)؛

. أنا له بالمرصاد (هجوم مضاد)؛

. لا تستعجل نهايتك (النّصح)؛

. ليس كفـءا لهذه المهمة(تحقير)؛

. عليك بالرّضوخ (الاستسلام)؛

. أريد التّفاهم البناء(مناورة)

وكذلك الأمر نفسه بالنّسبة إلى استعارة الحياة سفر، والتي يتفرع عنها عدة تشعبات استعاريّة مبيّنة للتصورات بنفس النّسق (الحب سفر. الوظيفة سفر. العلم

أو الدّراسة سفر. الصّداقة أو العلاقات سفر...)، ومن أمثلة ذلك، والتي لا تنتهي نذكر:

. العقبات الثّقيلة تسد عليَّ طريق المضي قدما نحو الأمام (الحياة سفر)؛

. أظن أنّ الوقت قد حان للاستقرار العاطفي (الحب سفر)؛

. هذه هي المحطة التي أريد أن أنطلق منها (العمل سفر)؛

. لقد قطعت شوطا طويلا في طلب العلم (العلم سفر)؛

. شراكتنا التّجاريّة تسهل مع الوقت (العلاقات سفر).

2 . الاستعارات الأنطولوجيّة (الوجوديّة): علينا الإقرار بأنّ التّصورات الاستعاريّة التي تتمظهر بلغتنا تعد ذات طابع وجودي في عمومها، وترتكز على تحديد الصّفات واستنتاج العلاقات. ولكن العالمان اللّغويّان لايكوف وجونسون ميزا بين عدة أطر استعاريّة تبني أنساقنا التّصوريّة؛ فاعتبرا وجود استعارات أنطولوجيّة لأهداف تنظيريّة (منهجيّة تنظيميّة) تقترب من الموضوعيّة، وبشيء من التّفصيل الممكن.

إذ نقوم ببنينة العديد من الأنساق التّصوريّة التي تقوم على استعارة (الكيان والمادة)، واستعارة (الوعاء وما يتفرع عنها)، فبوجود "استعارة الذّهن آلة واستعارات التّشخيص المختلفة" (جورج لايكوف ومارك جونسن، 1996) نغطي مساحة كبيرة من المعاني التي يجب علينا الإحاطة بها بمعرفتها وإدراكها فهما ومحاولة إفهامها للآخر؛ لأنّ "فهم تجاربنا عن طريق الأشياء، والمواد يسمح لنا باختيار عناصر تجربتنا ومعالجتها باعتبارها كيانات معزولة أو باعتبارها مواد من نوع واحد. وحين نتمكن من تعيين (identify) تجاربنا...يصبح بوسعنا الإحالة عليها ومقولتها (categorize) وتجميعها وتكميمها" (جورج لايكوف ومارك جونسن، 1996)، بجعلها كما محدودا يشغل حيزا؛ لذلك وجب أن تكون "حاجات الإنسان النّموذجيّة تقتضي منا فرض حدود اصطناعيّة تجعل من الظواهر الفيزيائيّة {أشياء} منعزلة" (جورج لايكوف ومارك جونسن، 1996)

انطلاقا من معرفة الحيز الإنساني وإدراكه. إذ تعدّ هذه التّجارب الأوليّة "مصدرا لأسس استعارات أنطولوجيّة متنوعة جدا، أي {أنّها تعطينا} طرقا للنظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار... إلخ باعتبارها كيانات ومواد"(جورج لايكوف ومارك جونسن، 1996) حسب الحاجة. وهي تنشط الإسقاط الاستعاري الكلي أو الجزئي.

أ . استعارات الكيان والمادة: ومن أمثلتها نذكر استعمال استعارة تنشط في مجال الاقتصاديات (التّضخم كيان): له قوة وإرادة، وهو عدو للاقتصاد يجب الحيطة والحذر منه، لأنه ذكي ويمكنه إحداث الأضرار الوخيمة من ثغرات اقتصاديّة مختلفة قد تكون متعاكسة المصدر(السّبب)، كما أنّه جوهر التّحكم في الاقتصاد بالنّسبة لكل بلدان العالم، لذلك تعمل على ترقب حالاته، وتخافه وترهبه... وهذه بعض الأمثلة المستقاة من التّصور الاستعاري الأنطولوجي (التّضخم كيان):

. ... سيطرة التّضخم على مستوى معيشتنا؛

. ... تفادي التّضخم ليزدهر اقتصادنا؛

. يجب مراقبة التّضخم الاقتصادي المهلك؛

. العقلنة الانتاجيّة للسلع والخدمات خوفا من التّضخم؛

. التّضخم مزعج لكل السّياسات الاقتصاديّة.

ويمكن تنشيط استعارة الزمن مال؛ لأنّ الزمن له معظم صفات المال، من: (الضّياع أو الخسارة والادخار والصّرف واستثمار واستغلال واحتكار والمحدوديّة...)، والتي يمكن أن نسوق بواسطتها تصورات استعاريّة يتناظر فيها ما نعرفه عن المال مع الزمن. ويمكن إدراج الأمثلة الموالية:

. صرفت وقتي في إنجاز هذا العمل (الوقت يُصرف)؛

. ضاع الكثير من وقتي الثمين (الوقت يضيع)؛

. لن يكون استثمار وقتنا مجديا إلا في طاعة الله عز وجل (الوقت يُستثمر)؛

. أثْمن وقت في الحياة هو دقائق الصّلاة (الوقت يثمّن).

كذلك الأمر بالنّسبة إلى استعارة (الذّهن آلة . الذّهن شيء هش...).

ب . استعارات الوعاء: باستغلال المعادلة التّصوريّة داخل وخارج وسطح فاصل ينشط مجال تصوري استعاري لا باس به، إذ يمكن اعتبار أجسادنا أوعيّة وأحيازًا محدودة وما سواها خارج عنها، أو أنّنا ندخل أو نقع في أحياز افتراضيّة ضمنيّة في أذهاننا؛ نجعلها أوعيّة تحتوينا كلنا أو جزءا منا. وكل ذلك بأنساق تصوريّة استعاريّة موجودة في الأعيان مرسمة في الأذهان. ففي وجود فضاءات واقعيّة لنا فيها تجربة وخبرة، وهي ثابتة وجوديا، مثل (فوق وتحت– داخل وخارج–...). وهنا نسوق بعض الأمثلة الخاصة بهذا النّوع من الاستعارات، فنقول مثلا:

. دخل الرّعب في نفوس الأمم (نفوس الأمم أوعيّة)؛

. خرجنا من الحروب المسلحة السّياسيّة الاقتصاديّة، ووقعنا في الحروب الإعلاميّة، والحروب البيولوجيّة (الحروب المسلحة والحروب الإعلانيّة والحروب البيولوجيّة أوعيّة)؛

. أتمنى أن أخرج من الدّنيا صافيّة الوفاض والله راض عني (الدّنيا وعاء).

جـ . الاستعارات الاتجاهيّة (الفضائيّة) oriontationel metaphors: تأخذ أبسط تشكل للاستعارة؛ كونها تتعلق بالموضع الفيزيائي لكل اعتباراتنا انطلاقا من تمثلنا لأجسادنا، بإعطائها أنساقا تصوريّة استعاريّة ذات قيمة إيجابيّة أو سلبيّة، وذلك حسب اعتقاداتنا، أو ميولاتنا، أو أعرافنا، وأخلاقياتنا الدّينيّة التي تتحكم حتى في مبدأ تفكيرنا أو تصوراتنا للأمور كلها. فنجعل المقبول أو المستحسن فوق والمرفوض المستقبح تحت، وقد نرفض ما زاد عن الحدود المقبولة. وربّما صارت خير الأمور أوسطها. كون" أغلبها يرتبط بالاتجاه الفضائي: عال/مستفل، داخل/خارج، أمام/وراء، فوق/تحت عميق/سطحي، مركزي/هامشي" (جورج لايكوف ومارك جونسن، 1996).

واستنادا إلى هذه الاستعارة الفضائيّة المعتبرة للمواقع المختلفة للأشياء، والأمور نستوعب أو نفهم كما هائلا من المعاني المتحكمة في سيرورة مواقفنا من بعض مفاهيم حياتنا، بالحكم السّلبي أو الإيجابي عليها. إذ تتميز بثنائيّة ضديّة أحدها يحيل على ما هو إيجابي، والآخر على ما هو سلبي حسب كل ثقافة، أو دين أو بيئة، أو عصر. لأنّ تقديم الضّد يصور لنا الفرق بين المعنى وضده باستحضار ضد المعنى المقدم، فكما يقال: بضدها تتضح المعاني. وهذا ما نجد في الأمثلة:

. هو قمة في أخلاقه (الأخلاق فوق)؛

. الحياة أمامي (الحياة فوق)؛

. علمه راق (العلم فوق)؛

. أريد الخير للأنام (الخير فوق)؛

. غارت آمالي (الآمال تحت)؛

. دحضت نياتي في مهدها (النّيات تحت)؛

. خير الأمور أوسطها (أوسط الأمور فوق)؛

. لا تكن لينا فتعصر، ولا تكن قاسيا فتكسر(اللين والقسوة تحت).

والاستعارات الممتدة (extended metaphor) الصّغرى، والكبرى (العامة) هي استعارات تصوريّة تتحمَّل عددا من الاستعارات السّابقة على أنها استعارات موضعيّة صغرى تؤطر فضاءها الدّلالي.

–**مفهوم الحديث النّبوي الشّريف:** يدل الحديث في اللّغة عن "الجديد من الأشياء. والحديث الخبر يأتي على القليل والكثير، والجمع أحاديث كقطع وأقاطيع، وهو شاذ من غير قياس." (محمد عجاج الخطيب، 1989).

أمّا الاصطلاح في الحديث فهو مرادفته للسنة عند المحدثين، "ويراد بهما كل ما أثر عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم قبل البعثة، وبعدها، ولكنّه إذا أطلق لفظ الحديث انصرف في الغالب إلى ما يروى عن الرّسول صلّى الله

عليه وسلّم بعد النّبوة: من قول أو فعل أو تقرير"(محمد عجاج الخطيب 1989). ولأنّ الضّلال عن الاتجاه الصّحيح هو "إيثار الدّنيا على الآخرة"(ابن قيم الجوزيّة، 2002)، ويكون ذلك "إمّا فساد في الإيمان، وإمّا فساد في العقل" (ابن قيم الجوزيّة، 2002)؛ وما الدّنيا إلاّ "معبر وممر لا دار مقام ومستقر وأنها دار عبور لا دار سرور" (ابن قيم الجوزيّة، 2002). علينا نشدان الحقيقة والعض عليها بالنّواجد. وما الحقيقة إلاّ الإيمان بالحق عزّ وجل والأخذ بكل ما هدانا إليه، وبالمقابل الإعراض والنّأي عن كل ما نهانا عنه سبحانه؛ والحديث النّبوي الشّريف حقيقة سرمديّة تابعة للرسالة الإلهيّة، جاءت في صيغتها اللّغويّة على هيئة خطابات مرويّة ومدونة، لتكون حجّة لنا أو علينا يوم الدّين. إذن فالحديث النّبوي الشّريف أمانة بلغت إلى أصحابها.

-**الأحاديث القوليّة:** لا شك يعترينا بأنّ "علم النّحو منطقة يمكن أن نلاحظ فيها هذه العلاقة الفضفاضة بين الاستعارة اللّغويّة والمفهوميّة (التّصوريّة) وتزودنا المقاربة المعرفيّة للاستعارة بشرح واف لحقيقة أنّ الاستعارة المفهوميّة يمكن أن تتجلى في تنويعات نحويّة كثيرة من التّنظيم اللّغويّ (ديرفين 1985)" (جيرارد ستين، 2005). لذا سنقوم بإذن الله باستنباط ما تراه النّظريّة الاستعاريّة التّصوريّة استعارات مصدرها الذّهنيّة البشريّة من هذه الأحاديث النّبويّة الشّريفة. فنحاول التّقرب من معرفة الحكمة من تكليف رسولنا الكريم صلّى الله عليه وسلّم برسالة الإسلام. وكذا مدى عبقريَّته في تمثُّل المعاني ذهنيا والتي هو بحاجة إلى تقديمها في قالبها اللّغويّ (الرّمزي) للناس قصد إشاعتها وترسيخها ضمن حضارة إسلاميّة. وسنقف في مقاربتنا لعينة اصطفيناها من أحاديثه الشّريفة؛ بوصفها تحليلا في هذا البحث، وتبيان مدى مشاركة الاستعارة التّصوريّة في البناء اللّغويّ للحديث النّبوي الشّريف وخصوصيتها فيه.

الحديث الأوّل: نبدأ بأوّل حديث نبوي شريف وهو ما يقول نصّه: «**المُسلّم مَنْ سلّم المُسلّمونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ**» (البخاري، 2002). تصدر استعارات الحديث الأوّل من المنابع التّصوريّة التّاليّة:

. **المُسلّم مَنْ سلّم المُسلّمونَ مِنْ لِسَانِهِ**= اللسان شخص يؤذي (استعارة التّشخيص). مع اللسان وعاء يحوي أشياء مؤذيّة (استعارة الوعاء).

. **المُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ** = صورة الهجر العرفيّة (استعارة الصّورة).

بتصورات لها أنساق مبنينة استعاريا، عبّر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عن صورة إيذاء المسلّم لأخيه، بإسقاط التّجارب والخبرات المدركة من الواقع المادي والفيزيائي على المجردات التي يُستعصى تقديم معنى موافق لها دون ربطها بالأولى، إذ صور صلّى الله عليه وسلّم اللسان على أنّه شخص يضر المسلّمين ويؤذيهم. وهي من الاستعارات الأنطولوجيّة، كما استدعى رسولنا الكريم خطاطة الوعاء، التي تحدد فضاء داخل الجسد ومنفصلا عنه (عبد العالي العامري 2018)، إذ بصفتنا "كائنات فيزيائيّة، محدودة ومعزولة عن باقي العالم عن طريق مساحة جلدنا، ونعيش تجربة باقي العالم باعتبارها خارجة عنا" (جورج لايكوف ومارك جونسن، 1996). نستعير ذلك تصوريا، كون هذه التّجارب والخبرات دارجة في ثقافتنا، ليصبح اللسان وعاء لأشياء تؤذي المسلّمين، وكذا صورة الهجرة المعروفة والمدركة عرفا التي ناظرها مع ترك كل ما نهى الله عنه، لأن" الجماعة الإنسانيّة بتنظيمها وعقائدها ومصالحها وقيمها ممكن أن تعالج كوحدة والبيئة الخارجيّة كوحدة أخرى والتّفاعل بين الاثنين كنسق (أيكولوجي)" (جورج لايكوف ومارك جونسن، 1996)، يسهم في تيسير الحياة كلها، ومنها التّواصل الاجتماعي. الذي يستند إلى الخبرة المشتركة، فتكون

التّرسيمات الاستعاريّة ثابتة في معظمها ضمن المجموعة اللسانيّة النّظاميّة الواحدة.

الحديث الثاني: قال صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلّم: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيّة إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**» (البخاري، 2002).

تُبنين الحديث الشّريف استعارات تصوريّة متنوعة هي كالآتي:

. **أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟** = التّعيير حرب كلاميّة (استعارة الحرب). مع ذكر الأم سوءً سلاح يؤلم (استعارة المادة).

. **امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيّة** = المرء وعاء (استعارة الوعاء)، مع الجاهليّة مادة (استعارة المادة).

. **جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ** = العبوديّة تحت (استعارة اتجاهيّة).

. **لاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ** = الأنشطة والأعمال كيان يغلب (استعارة الكيان).

. **فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ** = الإعانة سبب في التّكليف (استعارة المادة).

لمسنا من نص هذا الحديث النّبوي الشّريف بنينة ثلاث استعارات موضعيّة (local metaphors) مختلفة عبارة عن توليفة فيها ابتكار وجدة؛ إذ الأولى منها بنيويّة تخضع لحكم البنيّة الفيزيائيّة الواقعيّة والعناصر المكونة لها، والتي تُعار منها بعض العناصر خدمة لتنشيط معان ذات أصول مجردة (المجال الهدف)، وهي استعارة "**الجدال حرب**" كون "المعارك الماديّة تتقابل بشكل دال مع الاختلافات في التّعبير عن الآراء" (إلينا سيمينو، 2013)، ومنها التّعبير عن الاحتقار والتّقزيم؛ حيث إنّ "المعنى الأساسي والمعنى السّياقي يتناظران مع عناصر في المجالات المفهوميّة المختلفة" (إلينا سيمينو، 2013)، إذ قوبل فيه بين أذى التّعيير كمنتج كلامي والهجوم المادي بالأسلحة المختلفة خلال الحرب (المجال المصدر). بجعل عمليّة التّعيير بالأم سلاحا. وهذا ما ينم عن وجود

توتر تفاعلي بين الطرفين مرده إلى الذّهنيّة العرفيّة في احتقار الأفراد السّود (موضوع الحديث الشّريف). فيما قام التّصور الثاني على تنشيط تصور الوعاء باعتبار المرء فينا وعاء يمكنه احتواء أنشطة أو صفات أو عواطف أو أفكار مجردة بمحاولة تقديم معان لا يمكن الإحاطة بها إلا بربطها بالواقع الفيزيائي للوعاء بوساطة خطاطة بسيطة: (داخل/ خارج/ سطح فاصل) (إلينا سيمينو 2013) بمقولتها وإشاعة هذه المقولات لجعلها عامة، وكل ذلك حسب المنظومة البيئيّة والثقافيّة والإيديولوجيّة، وتندرج هذه الاستعارة ضمن الاستعارات الأنطولوجيّة.

كما ربط رسولنا الكريم في عقله استعارة ثالثة تم فيها اتخاذ الفضاء الفيزيائي مستَندا لتصوره باتخاذ السّيادة فوق والخدمة أو الموالاة تحت، وهو المنطق المحتذى قبل بدء الخليقة. لينهي عليه الصّلاة والسّلام تركيبه التّصوري باعتبار خدمة الموالي (الأنشطة والأعمال) كيان يغلب إذ عين مظهرا من المظاهر، أي الأعمال الشّاقة، والتي تكون فوق طاقة الموالي، تعتبر وكأنّها كيان له طاقة وقوة بحيث يغلبهم، وهذا أحد حالات استعارة الكيان والمادة، وعند عمله على تعيين الأسباب ربط التّكليف بالخدمة، بالإعانة أو المساعدة عليها، والتي تنتمي إلى الاستعارات التّصوريّة الأنطولوجيّة بدورها. إذن، وقفنا في نص الحديث النّبوي الشّريف على جملة من الاستعارات التّصوريّة الموضعيّة الصّغرى المتنوعة (أنطولوجيّة، بنيويّة، اتجاهيّة) المبنينة له.

الحديث الثالث: قَالَ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلّم: «**اية المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» (البخاري، 2002).

بنين الحديث الشّريف أربع استعارات موضعيّة صغرى هي:

. **آية المُنَافِقِ ثَلَاثٌ**= الآية أمارة وعلامة لشيء نتبينه (استعارة المادة)، مع: النّفاق تحت (استعارة اتجاهيّة).

. **إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ** = الكذب تحت (استعارة اتجاهيّة).

. **وَعَدَ أَخْلَفَ** = الإخلاف تحت (استعارة اتجاهيّة).

وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ = الخيانة تحت (استعارة اتجاهيّة).

إذن فالتّرسيم التّصوري الذي وظفه خير البريّة عليه الصّلاة والسّلام يقوم على الخبرة التي تزود بها من الفضاء الذي نعيش فيه منذ خروجنا للحياة والتي "بموجبها يتحول الكائن البشري من مجرد كائن بيولوجي حيوي صغير إلى كائن اجتماعي يعيش متكيفا ومتفاعلا مع مجتمعه، ويصبح عضوا نافعا فيه حيث يمتص الفرد من خلال هذه العمليّة، قيم المجتمع ومثله ومعاييره وقواعده ومبادئه ولغته ومعارفه وثقافته" (عبد الرّحمن العيسوي، 2005). ويعاير احتياجاته التّواصليّة بالنّظر إلى بيئة نشأته أو محيطه؛ فالمعرفة الموضوعيّة مثلا تكون للمادة المدركة بالحواس أوّلا، وكل من الكذب والإخلاف والخيانة من النّشاطات المحسوسة نسبيا، والتي يمكن رصدها، وبذلك جُعلت اية النّفاق (الأكثر تجريدا)، أو علامة عليه. مثلما يتعين عند الطفل تمثُّل كل ما يعتبره مجتمعه شيئا أو أمرا مستقلا كان قد درج على عده ضمن السّلبيات والعكس. وهذا بعد "امتصاصها أو اكتسابها وهضمها واستدخالها أو استدماجها فتصبح جزءا من كيانه الشّخصي" (عبد الرّحمن العيسوي، 2005). فكان أن حط نبينا الكريم من شأن صفة النّفاق التي يندرج تحتها كل من: الكذب والإخلاف والخيانة، وجعلهم تحت، كونهم صفات سلبيّة عند المولى عز وجل وبذلك عند عباده. إذن جاءت تصوراته صلّى الله عليه وسلّم عبارة عن توليف لاستعارات متباينة. والمخطط التّالي يوضح الصّورة أكثر:

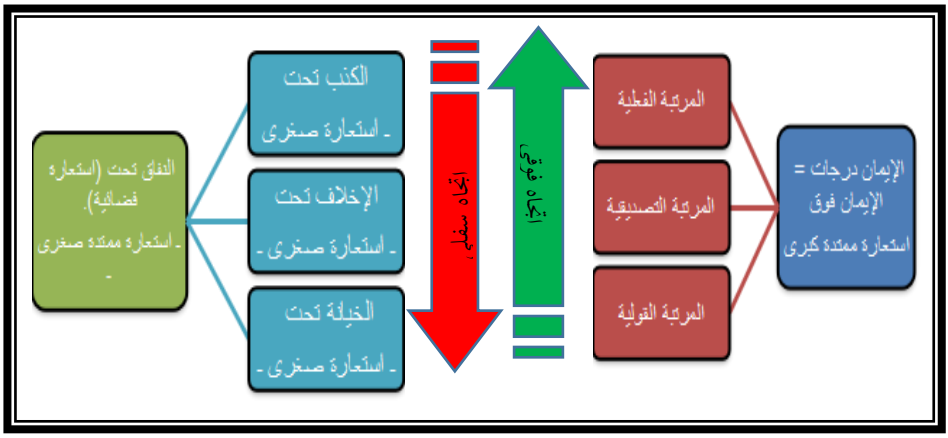

مخطط (2): مخطط يبين تعاكس التّصورات الاستعاريّة الكبرى

يبين الجزء الأيمن من المخطط السّابق الوجهة التّصاعديّة لدرجات الإيمان الممثّلة في الاستعارة الكبرى "الإيمان درجات"، أمّا الجزء الأيسر فيمثّل الوجهة السّفليّة للنفاق الذي تبنينه استعارة "النّفاق تحت"، على اعتبار أن الصّفات السّلبيّة في ثقافتنا العربيّة الإسلاميّة صفات مذمومة، يدفعنا هذا لطرح السّؤال: هل النّفاق ينتمي إلى السلّم الذي يشتمل على درجات الإيمان الصّاعدة فوق؟ منطقيا يكون النّفاق دون الدّرجات الصّاعدة التي يتكون منها الإيمان فهي خارج سلّم الارتقاء فيه؛ غير أنّ النّهي عن صفات المنافق أو دلالات النّفاق كونها عائق في طريق الإيمان يمنعه من الصّعود في درجاته، هو الذي يجعله ينتمي إلى سلّم الإيمان وليس صفات النّفاق. ولهذا فورود الحديث في هذا القسم هو تدعيم لتصور الارتقاء، بعرض تصور النّزول تحت حتى تتضح الأمور أكثر، إذ بضدها تعرف وتفهم الأشياء؛ حيث أحالتنا آيات النّفاق على النّأي عنها وهو ما يساعدنا على الصّعود إلى أعلى درجات الإيمان؛ أي إلى فوق.

الحديث الرّابع: قال صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلّم: «**رْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**» (البخاري

2002). هناك عدة استعارات تصوريّة صغرى بنينت نص الحديث الشّريف تمثّلت في:

. **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ** = الذّات البشريّة وعاء (استعارة الوعاء)؛

. **كَانَ مُنَافِقًا** = النّفاق تحت أمر سلبي (استعارة اتجاهيّة)؛

. **مُنَافِقًا خَالِصًا** = النّفاق مادة (استعارة المادة).

. **مَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ** = الذّات البشريّة وعاء (استعارة الوعاء) + الخصال أو الأعمال (النّفاق) مادة (استعارة المادة). مع الأعمال المشينة أو المنبوذة عبارة عن خصل من الشّعر (استعارة الصّورة)؛

. **فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا** = النّفاق وعاء يحوي خصالا (استعارة الوعاء)؛

. **إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ** = أداء الأمانة فوق؛ أمر إيجابي، والخيانة تحت؛ أمر سلبي (استعارة اتجاهيّة)؛

. **وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ** = الحديث فوق، أمر إيجابي، والكذب تحت؛ أمر سلبي (استعارة اتجاهيّة)؛

. **إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ** = الوفاء بالعهد فوق؛ أمر إيجابي، الغدر تحت؛ أمر سلبي (استعارة اتجاهيّة)؛

. **إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ** = الفجور تحت؛ أمر سلبي (استعارة اتجاهيّة).

حضرت جملة من التّصورات الاستعاريّة في النّسق التّصوري لنبينا الكريم عليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام، تراوحت كما صنفها لايكوف وجونسون بين الاستعارات الاتجاهيّة: النّفاق، الخيانة، الكذب، الغدر، الفجور وجعلها تحت (دون الاتجاه الصّاعد فوق)، والأمانة، الحديث، الوفاء بجعلها فوق (تنتمي إلى درجات الإيمان). واستعارة الوعاء أي الحيز المحدد فيزيائيا (الذّات البشريّة والنّفاق) ضمن الاستعارات الأنطولوجيّة. واستعارة الصّورة إذ تم إقامة تناظر بين ما هو معروف (خصلات الشّعر) مع الصّفات اللصيقة بالمنافق. إذ تعد"

المعرفة التي لا تدرك مباشرة بالحواس ولكنّها نتيجة لأعمال الفكر مع الانطباعات أو التّأثيرات الحسيّة.

ولتكوين المفهوم العام لا بد من عمليّة تجريد (Abstractig) عمليّة تعميم (Generatization)(عبد الرّحمن العيسوي، 2005). نقوم بهما لهيكلة المعنى المقصود، ذلك كون" المدرك الكلي (Concept) عبارة عن معنى عام تنطوي تحته طائفة من الصّفات أو السّمات الجزئيّة المتشابهة... فالمدرك العقلي والكلي هو المعنى الذي نعرفه عن الشّيء وعن شكله وتركيبه وحجمه ومظهره وخواصه وفوائده واستعمالاته وعلاقاته بغيره من الأشياء. فالفرد نتيجة لاحتكاكه بالموضوعات المختلفة وتفاعله معها يكتسب معاني عامة عنها" (عبد الرّحمن العيسوي، 2005). وتلك قدرات عند جميع البشر الطبيعيين. غير أنّ عبقريّة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، جعلته يبتكر التّصورات التي تقدم المعاني للناس بسلاسة وعمق وبأوجز ما يمكن؛ وهو ما نلمسه على مستوى التّحققات اللسانيّة للحديث السّابق.

الحديث الخامس: قال صلّى الله عليه وسلّم: «**يَخْرُجُ مِنَ النّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنَ النّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنَ النّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**» (البخاري، 2002).

تمثلت الاستعارات التّصوريّة الصّغرى التي بيّنت هذا الحديث الشّريف فيما يلي:

. **يَخْرُجُ مِنَ النّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** = النّار وعاء (استعارة الوعاء).

. **وَفِي قَلْبِهِ** = القلب البشري وعاء (استعارة الوعاء).

. **وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ** = الخير مادة لها وزن (استعارة المادة).

. **يَخْرُجُ مِنَ النّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**= النّار وعاء (استعارة الوعاء).

. **فِي قَلْبِهِ**= القلب البشري وعاء (استعارة الوعاء).

. **وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ** = الخير مادة لها وزن (استعارة المادة).

. **يَخْرُجُ مِنَ النّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** = النّار وعاء (استعارة الوعاء).

. **فِي قَلْبِهِ** = القلب البشري وعاء (استعارة الوعاء).

. **وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ** = الخير مادة لها وزن (استعارة المادة).

هيمنت على هذا الحديث استعارتا المادة والوعاء؛ حيث نظر إلى النّار (العقاب) بتصور الوعاء الذي يخرج منه كل من فعل خيرا بدءا بقول كلمة التّوحيد، والقلب البشري وعاء يمكن ملؤه أيضا. كما استعان في تمثُّله لتصور الإيمان الحق والمفضي إلى الجنة انطلاقا من البيئة والثقافة السّائدة آنذاك ولأنها "تتصل بحاجات الرّوح، والعواطف والانفعالات والميول، ومنها العاطفة الدّينيّة" (عبد الرّحمن العيسوي، 2005)؛ إذ إن كلا من الشّعير والبر هما أهم المواد التي يمكن أن يمتلكها الواحد منهم، وزاد عن ذلك الذّرة والتي لا تُرى بالعين المجردة، و"الواقع أنّ المعاني تضل حائرة ومتناثرة في الذّهن حتى تستقر في لفظ مناسب فتتحدد وتتركز وتتبلور، ويصبح من الممكن التّعامل بها مع الغير ويصبح اختزانها وتذكرها أكثر سهولة"(عبد الرّحمن العيسوي، 2005).

لقد أسقط النّبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم هذه المواد المتباينة على أمر شديد التّجرد والأهميّة لعباد الله عز وجل؛ فقابل بين الشّعير والبر والذّرة بكل ما هو خير فقد أحال على الأعمال المطلوبة والمتسمة بالتّجريد.

تنشأ الجدة والابتكار في الحديث السّابق من بساطة وقلة التّصورات المستدعاة من المجالات التّصوريّة الخاصّة بها؛ فلم يكن اقتصاره صلّى الله عليه وسلّم على استعمال استعارتي المادة والوعاء إلا لأنّ الموضوع المعالج والموقف الاتصالي يقتضيان استدعاء استعارتين تصوريتين فقط، ممّا يستلزم اسقاطات استعاريّة بسيطة، تعلي من بلاغة الحديثة إلى أقصى حد، وهذا ما يؤكد إبداعيّة الحديث، الذي لم يترك به النّبي للمتلقي المجال ليجول بذهنه، بل حصره في استعارتين كي ينتبه ويتأثر ويتَّعض. والمخطط الموالي يجمع

الأنساق التّصوريّة المبنينة استعاريا في ذهن رسولنا الكريم عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم:

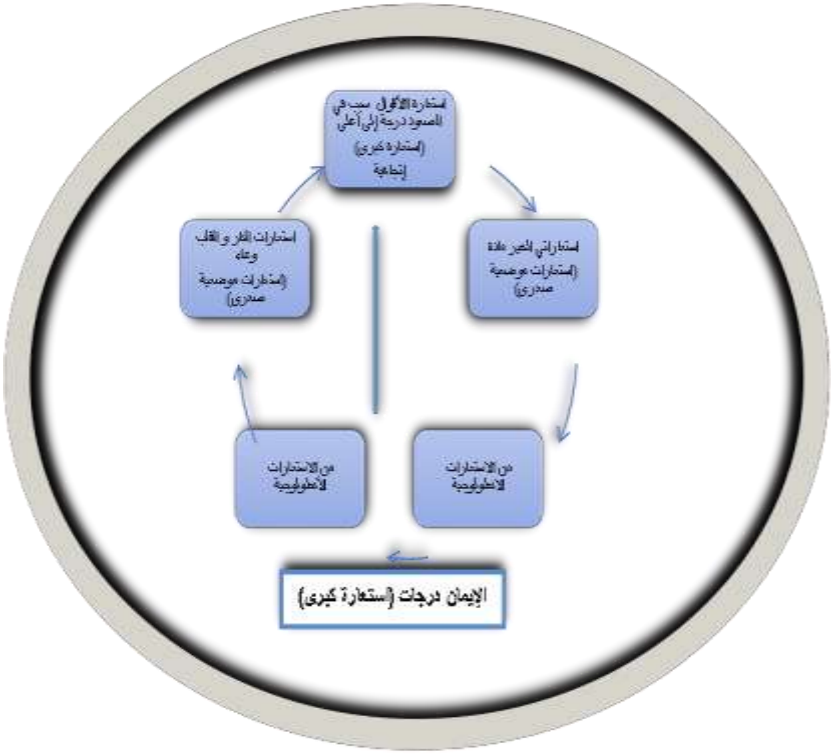

مخطط (3): اتحاد الاستعارات الموضعيّة الصّغرى ضمن الاستعارة الكبرى.

الحديث السّادس: قال صلّى الله عليه وسلّم: «**سِبَابُ المُسلِّم فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» (البخاري، 2002). فنقول:

. **سِبَابُ المُسلِّم فُسُوقٌ**= السّب عمل/ نشاط (الأعمال والأنشطة أشياء).

. **قِتَالُهُ كُفْر**= القتال عمل (الأعمال والأنشطة أشياء).

تم هنا تقدير ظواهر مجردة فكريا لتقريبها من الأشياء الفيزيائيّة الحسيّة بعادات ذهنيّة "يكتسب المرء بها القدرة على تطبيق القواعد، أو إهمالها" (صلاح الدّين شروخ، 2004)، بالخروج عن المألوف المبتذل، ومن ذلك ما سماه صاحبَيْ نظريّة الاستعارة التّصوريّة حالات يمكننا تنشيط استعارات

أنطولوجيّة بها، ومن ذلك تعيين الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فيها سببا من أسباب الفسوق؛ وهو السّباب. وسببا من أسباب الكفر بالله عز وجل؛ وهو قتال المسلّم. فجاء كل من الفسوق والكفر خارجين عن إطار الاستعارة الكبرى الإيمان درجات (سلّم له درجات). ولكنّها تعدّ عوائق في سلّم الإيمان، حيث السّب عمل سلبي والكفر أيضا، وبالتّالي فالتّصور الذي يناسب هذا العمل السّلبي هو تصور الاتجاه السّفلي، ومن ثم فالاستعارة الممتدة (extended metaphor)" (إلينا سيمينو، 2013)، التي يمكن أن تبيّن الحديث هي "**السّب والقتال تحت**"، وهي استعارة اتجاهيّة.

. الحديث السّابع: قال صلّى الله عليه وسلّم: «**إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالخَمْسِ**» (البخاري، 2005). هذا الحديث الشّريف بيّن استعاريا كما يلي:

. إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَرُفِعَتْ = ليلة القدر مادة ترفع (استعارة المادة).

. تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ = الخصام عمامة وضعت تحت اللحيّة (استعارة التّشخيص).

. عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ = الخير مادة تعطى (استعارة المادة).

. التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالخَمْسِ= ليلة القدر مادة تلمس وتطلب ويبحث عنها (استعارة المادة). مع اعتبار الأيام أوعيّة تحوي ليلة القدر (استعارة الوعاء).

حضرت استعارتا المادة (حيز فيزيائي محدد) واستعارة التّشخيص (إسقاط المجال المصدر. الإنسان . على المجال الهدف . الخصام)، في هذا الحديث حيث إنّ إسقاط العمامة والتي هي رمز الهيبة والوقار في ذلك الزمان تحت اللحيّة دليل قاطع على خصام شديد بين طرفين. فالوجود الإنساني يشير إلى

أنّ "المشاركة في الحياة الاجتماعيّة تدفع الأفراد لصياغة أفكار أساسيّة عن هذه الحقيقة، وبطبيعة الحال يمكن أن تجد نفس الشّيء في مشاركة الأفراد للعالم الطبيعي لضبط وتدبير الوقائع" (بيرسى كوهن، 1985). وعلى هذا المنوال الذي جبل عليه بنوا آدم تم تأطير المعنى المراد أو المطلوب بإقامة إسقاطات اشتغلت في تناظرات أسهمت في فهم العلاقات غير المباشرة بين الوقائع والمجرد ات في الوجود من طرف رسولنا الكريم عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم. لذلك فقد بنيت ليلة القدر بوصفها مادة ترفع، وكذا الخير (الخير مادة)، لخصومة طرفين التي يمكن أن تؤطر باستعارة المادة أيضا باعتبار الخصومة نشاطا أو عملا يقوم به شخصان، وهذا الذي دفع النّبي ليخرج من بيته/ الوعاء ليلقي الخبر/ المادة على مسامع النّاس/ الوعاء.

الحديث الثامن: قال صلّى الله عليه وسلّم: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**» (البخاري، 2005). الاستعارات الموضعيّة التي بنينت الحديث الشّريف تمثّلت في:

. تُطْعِمُ الطَّعَامَ = الصّدقة مادة تطعم (استعارة الكيان).

. **تَقْرَأُ السّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ** = السّلام مادة تُقرأ وتوزع . . (استعارة المادة).

ثقف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لب الدّين الإسلامي، فكانت العقيدة الإسلاميّة منبع إلهامه، والإيمان ما ناظر صورة الأقوال والقلب والأفعال معا. فأراد عليه الصّلاة والسّلام ترسيخ تصوره عن مشارب الإيمان المختلفة والتي كان من ضمنها الصّدقة، وفي مقدمتها إطعام الطعام. ولكنه ركز على إفشاء السّلام بين النّاس، لأنّه يؤلف القلوب ويهدئ النّفوس وينشر الطمأنينة، وأهم من ذلك كله يحيل على دين بعينه ألا وهو الدّين الإسلامي الحنيف. فهو إذن بصدد تعليم المؤمنين أساسيات التّصرف الصّحيح وهو ما يثبت "المكانة الهامة التي يحتلها التّفاعل الاجتماعي والثقافي في آليات التّعلم"(إ. برتران، 2001).

وأهمهما التّفاعل الدّيني المتحكم في ثوابت كل عقيدة من العقائد المتباينة والتي تتصدرها الأخلاقيات المتبعة، وذلك بزيادة المعارف، وترسيخ الإدراكات، كما أكد ذلك (Bruner)، وهو ما يجرنا إلى "استنتاج يبين لماذا تتأثر النّظريات الاجتماعيّة المعرفيّة كثيرا بعلم النّفس الاجتماعي"(إ. برتران، 2001)، ذلك أنّ ثقافة المجتمع لها الدّور الرّيادي بتحكمها في أنماط التّفكير نتيجة تخزين الخطاطات النّموذجيّة في الدّماغ توافق معطيات البيئة الاجتماعيّة الثقافيّة والتي تشتمل على المعطى الدّيني بالدّرجة الأولى. وبمناظرة الصّدقة بالمادة التي تطعم للفقراء والمحتاجين، وكذا التّناظر الذي وقع بين قول لفظ السّلام والمادة التي تُقرأ وتوزع كالصّحيفة... ليعطي صلّى الله عليه وسلّم نموذجا لتلك التّحقّقات اللسانيّة التي جاءت على ذلك الوجه الدّقيق.

تعددت الاستعارات الموضعيّة الصّغرى في هذا القسم (الأحاديث القوليّة) من: (الأنطولوجيّة: الكيان، المادة، التّشخيص، الوعاء، الصّورة . البنيويّة . الاتجاهيّة) وتظافرت لتخدم استعارة اتجاهيّة ممتدة كبرى تمثلت في: "**الإيمان أقوال إيجابيّة**" (الاتجاه الفوقي) وهي الدّرجة الأولى في عمليّة الصّعود للوصول إلى أعلى درجة في الإيمان.

خاتمة: أسفرت هذه الدّراسة عن جملة من النّتائج التي تتعلق بتطبيق طروحات اللسانيات العرفانيّة التي تنحو نحوا استعاريا على الأحاديث النّبويّة القوليّة هي:

1. إنَّ تبليغ الرّسالة المحمَّديّة هي بمثابة السّراج الذي ينير الصّراط. من أجل ذلك عمد رسولنا الكريم . صلّى الله عليه وسلّم . إلى توضيح أمور، وتعليم أخرى، وتفسير ثالثة، أو إفحام الخصوم (جدالا)، أو شرح وتوضيح، أو تعليم أمر من أمور الدّين الإسلامي؛ فحَاجج، وأخبر، وعلَّم، وفسَّر... حتَّى استطاع أن يوصل رسالتّه الإلهيّة إلى النّاس كافَّة. حيث كان لتأثير البيئة والتّجربة (الخبرات) والعصر(الثَّقافة) في نشوء تصوُّراته دورا محوريا؛ بإعادة صوغها

ذهنيًّا، وبنينتها في شكل منظومة تصوُّريّة؛ اتضَّح أنَّها تنشط استعاريًّا في معظمها. ولأنَّ التّعبيرات الاستعاريّة ماهي إلاَّ تحصيل حاصل، ناتج عن تصوُّرات عقليّة يملكها كل البشر. فقد تجلَّت لنا، واستطعنا استقراءها واستنباطها، وبذلك البحث عن تفسير لأصل نشوئها.

2. يدخل التّشكيل الاستعاري التّصوُّري في كلّ مجالات حياتنا، ويسهّل فهمنا وتحُّكمنا في تقديم المعنى المراد خاصَّة بواسطة اللّغة، التي تتَّضح الاستعارة فيها جليًّا، بما في ذلك المنحى الدّيني الذي يسقل سلوكاتنا كلَّها القوليّة (اللّغويّة)، والتّصديقيّة (التّسليميّة أو الاقراريّة) والفعليّة (الخاصَّة بكلّ النّشاطات الأدائيّة)؛ التي تُثبت سابقتيها وتعزّزهما.

3. الاستعارات التّصوُّريّة لها كلُّ العلاقة بالمجتمع الثَّقافي، والبيئي، من الزَّمان (العصر)، والمكان (البيئة)، التّجمع الإنساني، وكذا التّنظيمات الفكريّة الذّاتيّة عند كلّ فرد منَّا.

4. يتميَّز أو يتفرَّد التّصور الاستعاري لدى رسولنا الكريم عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم ببساطته وشموله وتَكيُّفه مع الأوضاع والمناسبات والمواقف وكذا البيئات الاجتماعيّة والثَّقافيّة واللّغويّة على حدّ سواء لاصطفائه بمنهج أخلاق القرآن العظيم.

5. رأينا من الدّراسات في هذا المجال المعرفي أنَّ نظريّة الاستعارة التّصوريّة ليست وحدها المتحكّمة في اشتغال الدّماغ البشري؛ بل هناك نظريات أخرى ربَّما مكمّلة، مُكتشفة إلى جانب النّظر التّصوري الاستعاري للُّغة. ولكن تبقى هناك ثغرات تخص ظواهر لغويّة لم يصل العلم لاكتشاف خباياها؛ وبذلك وضع تفسيرات لحدوثها. إذ لا يزال البحث جاريا سعيا لاكتشاف صور اشتغال العقل البشري.

6. تسهم مقولات الاستعارة التّصوريّة بحصة لا بأس بها في تقارب الآليات اللّغويّة في كل الالسّن البشريّة.

قائمة المراجع:

*–عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللّغة العربيّة مقاربة معرفيّة، دار توبقال للنشر الدّار البيضاء، ط1، 2001، ص59.

2–الجاحظ، البيان والتّبيين، تحقيق موفق شهاب الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت 1971، ج1، ص152.

3–المصدر نفسه، ص110.

4–المصدر السّابق ص79.

5–المصدر نفسه، ص83.

6–المصدر نفسه، ص84.

7–محمد الولي، الصّورة الشّعريّة في الخطاب البلاغي والنّقدي، المركز الثقافي النّقدي بيروت، ط1 1990، ص133.

8–المرجع نفسه، ص134.

9–حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981، ص18.

10–المصدر نفسه، ص11.

12–محمد الولي، الصّورة الشّعريّة في الخطاب البلاغي والنّقدي، ص135.

13–ينظر: عبد الرّحمان طعمة، البناء الذّهني للمفاهيم بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان، دار كنوز العرفة للنشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2019، ص13.

14–المرجع نفسه، ص15.

15–المرجع نفسه، ص15.

16–محمد غاليم، التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم: المعرفة اللسانيّة أبحاث ونماذج دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، ط1، 1987، ص92.

17–عمر بن دحمان، قراءة في كتاب "الاستعارات التي نحيا بها"، الخطاب، دوريّة أكاديميّة محكمة منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري . تيزي وزو، عدد6 جانفي 2010، ص203.

18–المرجع نفسه، ص203.

19- Zoltán Kövecses: Metaphor; a Practical Introduction, Oxford University Press, Second Edition, 2010, p.53, 54, 55. Kovecses

20-فاطمة محمد السّويدي، النّسق التّصوري والإدراك المتمثل للرحلة في شعر كعب بن زهير، مجلة الخطاب، المجلد 14، العدد1، جامعة قطر، تاريخ النّشر:2019/02/01 ص123.

21-المرجع نفسه، ص123.

22-المرجع نفسه، ص124.

23-محمد غاليم، التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم: المعرفة اللسانيّة أبحاث ونماذج ص33.

24-جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها. ترجمة: عبد المجيد جحفة، ط 1، دار توبقال للنشر- الدّار البيضاء، 1996، ص12 .13.

25-المرجع السّابق، ص36.

26-المرجع نفسه، ص36.

27-ابن منظور، لسان العرب، باب الصّاد، دار صادر، بيروت 1994، مادة (ص ور).

28-الأزهر الزناد، نظريات لسانيّة عرفنيّة معاصرة، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون بيروت منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص145.

29-محمد الصّالح البوعمراني، الفضاء وتمثيل بين اللّغة والخطاب، مجلة سياقات المجلد3، العدد1، أفريل 2018/04/30، جامعة قفصة، ص66.

30-يوسف الأقصري، كيف تتخلص من النّسيان وضعف الذّكرة؟، دار الطائف للنشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2002، ص19.

31-جورج لايكوف، النّظريّة المعاصرة للاستعارة، ترجمة طارق النّعمان، مكتبة الإسكندريّة، مصر، 2012، ص.18

32-بهجة أومادن، النّسق التّصوري للاستعارة في الخطاب السّياسي، مذكرة ماجستير (مخطوط)، جامعة مولود معمري - تيزي وزو، 2010، ص94.

33-المرجع نفسه، ص.94

34-الأزهر الزناد، نظريات لسانيّة عرفنيّة معاصرة، ص164.

35-المرجع السّابق، ص.164

36-يوسف الأقصري، كيف تتخلص من النّسيان وضعف الذّاكرة؟، ص46.

37-حسان شمسي باشا، النّوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن، دار المنارة للنشر والتّوزيع، جدة، ط1، 1991، ص30.

38-المرجع نفسه، ص21.

39-المرجع نفسه، ص19.

40-المرجع نفسه، ص18.

41-جورج لايكوف، النّظريّة المعاصرة للاستعارة، ترجمة طارق النّعمان، ص.19

42- المرجع نفسه، ص.19

43-المرجع نفسه، ص79.

44-المرجع نفسه، ص79.

45-عمر بن دحمان، قراءة في كتاب " الاستعارات التي نحيا بها"، الخطاب ص.209

46-المرجع نفسه، ص82، بتصرف.

47-جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها. ترجمة: عبد المجيد جحفة، ط 1 دار توبقال للنشر- الدّار البيضاء، 1996، ص.81

48-المرجع نفسه، ص45.

49-المرجع نفسه، ص45.

50-المرجع نفسه، ص45.

51-جورج لايكوف ومارك جون، الاستعارات التي نحيا بها، ص34.

52-محمد عجاج الخطيب، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الرّغاية، الجزائر، 1989، ص.25

53-المرجع السّابق، ص25 . .26

54-ابن قيم الجوزيّة، كتاب الفوائد، تحقيق أبو عبد الرّحمن فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2002، ص142.

55-المرجع نفسه، ص142.

56-المرجع نفسه، ص142.

57-جيرارد ستين، فهم الاستعارة في الأدب مقاربة تجريبيّة تطبيقيّة، ترجمة محمد أحمد حمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص27.

58-البخاري، الجامع المسند الصّحيح المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق محمد زهير بن ناصر النّاصر، دار طوق النّجاة، ج1، ط1، دمشق، 2002، ص11.

59-عبد العالي العامري، اللّغة وهندسة الذّهن آفاق جديدة لدراسة المعنى، فضاءات للنشر والتّوزيع، عمان، 2018، ص.33

60-جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص.49

61-بيرسى كوهن، النّظريّة الاجتماعيّة الحديثة، ترجمة عادل مختار الهواري، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، 1985، ص.272

62-البخاري، الجامع المسند الصّحيح، ص.15

63-إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ترجمة عماد عبد اللطيف وخالدّ توفيق المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013، ص.44

64-المرجع نفسه، ص.44

65-المرجع السّابق، ص.215

66-البخاري، الجامع المسند الصّحيح، ص.16

67-عبد الرّحمن العيسوي، علم نفس، سيكولوجيّة التّنشئة الاجتماعيّة، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2005، ص25.

68-المرجع نفسه، ص25.

69-البخاري، الجامع المسند الصّحيح.

70-عبد الرّحمن العيسوي، علم نفس، سيكولوجيّة التّنشئة الاجتماعيّة، ص230.

71-المرجع نفسه، ص231.

72-البخاري، الجامع المسند الصّحيح، ص17. 18.

73-صلاح الدّين شروخ، علم الاجتماع التّربوي، دار العلوم للنشر والتّوزيع، عنابة (الجزائر)، 2004، ص31.

74-البخاري، الجامع المسند الصّحيح، ص18.

75-صلاح الدّين شروخ، علم الاجتماع التّربوي، ص33.

76-جورج لايكوف، ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 50.

77–الاستعارة الممتدة: هي «ظاهرة نصيّة تستعمل بمقتضاها تعبيرات متعددة من المجال أو النّطاق الأصلي [المصدر] source domain وتمتد طيلة النّص». ينظر إلينا سيمينو، الاستعارة والخطاب، ص 108.

78–البخاري، الجامع المسند الصّحيح المختصر، ص19.

79–بيرسى كوهن، النّظريّة الاجتماعيّة الحديثة، ترجمة عادل مختار الهواري، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، 1985، ص33.

80–البخاري، الجامع المسند الصّحيح المختصر ص12.

81–إ. برتران، النّظريات التّربويّة المعاصرة، ترجمة محمد بوعلاق، قصر الكتاب البليدة، 2001، ص126.

82–المرجع نفسه، ص126.